لنقل: إذا ما تحرر الإنسان من الخطيئة ،وأصبح في موقع الصدق مثلاً ، عليه أن يقطن في جبل عالٍ منيف حيث لا يرى أحداً ولا يراه أحد. وحين يرقى الجميع إلى هذا الموقع الرفيع، تكون قد تحققت غاية الناشد والمنشود في حياة حرة كريمة.

هنا نكون قد أتينا على حقيقة فريدة هي " لا يمكن غسل أوحال الفكر بأوحال الفكر، ولا بد من غسل تلك الأوحال بمياه الوعي.

فمنذ البداية وعمليات الإصلاح قائمة بجميع السبل،لكن الذي حققه حمورابي قبل آلاف السنين بالنسبة إلى الفساد حين تولى هو نفسه التحقيق في هذا الموضوع، عجز عن تحقيقه عالم عصرنا هذا الذي قاد الفساد بكل أبعاده.

إذن، يجب التغيير، يجب تغيير الجهل بالعلم، والسمو بالعلم إلى المعرفة من أجل أن ترقى بنا المعرفة إلى عالم الوعي، عالمنا الحقيقي، عالم البسط والحرية والحب والفرح، حيث يصبح الإنسان عالماً يتسع إنسانيته كلها. حين يصبح عالماً بذاته.

فحين سمعت ترانيم الطائر وهو فوق الشجرة، علمت أنه حين كان ذاك الطائر في القفص كان يبكي.فقد نعلم حين نتعلم علم الحياة الفرح ..أننا قضينا العصور نبكي.

الجزء الرابع من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

إنني نظرت إلى عقل مجرد ،يدل على الحقيقة الكلية الجوهرية المجردة، ورأيت أن كل من تحزب لا بد أنه يكون قد تحزّب عن الحقيقة وليس إليها .

ورأيت أن اختلاف الأحزاب اختلافاً أبدياً، لأن ذلك التضاد القائم بين أحزاب دأب كلاً منها مصلحة ما ، والمصالح كونها ذاتية لا بد أن تكون مختلفة ومتباينة ومتضادة ، وأن كل هذا كان يؤدي إلى الصراع والحرب، إذا ما كانت ثقافة كل حزب تختلف عن ثقافة غيره من الأحزاب.

بينما نريد ثقافة واحدة ترقى بنا إلى وعي الحق والواجب في الحياة، نريد ثقافة دأبها العطاء وليس السلب، إذا ما كان الإنسان في كيانه وكينونته رسالة عطاء .

obeikandl.com

حين يصل الإنسان إلى موقع كهذا في الوجود ، "يعي الحق والواجب من خلال إرادة حرة جديرة بأن يكون بها رسالة عطاء" يتحقق بالحرية والحب والسلام والسيادة .. يتحقق في البسط والسعادة والفرح .. يتحقق في الأبدية.

إن موقع الأستاذ كمال جنبلاط قد وضعه حكماً في حلبة الصراع من أجل لبنان ، لا بل من أجل الإنسان ، وتلك الحلبة ألزمته أن يدرس المحاماة وأن يشكل حزباً سياسياً ،وأن يخوض غمار السياسة بكل الميادين، وأن يقول إلى الجميع : (إن السياسة شرف).

يقول الكاتب: (ألَم يقل كمال جنبلاط "الحزب رسالة لا تنزوي ولا تتقلص عن المعرفة الدائمة، ولا تضيق بها. بل هو ينبثق من هذه المعرفة ذاتها ،إنما هو إطار من الاتجاهات الكبرى للتفكيرالبشري وللتفتيش الإنساني عن الحقيقة في كل شيء "؟ .. وعلى هذا الأساس يجب أن ترتبط " الرسالة بـ "حامل الرسالة"، بقدر ارتباطها بـ " موضوع الرسالة وهدفها".. ص 6

كمال جنبلاط الرجل الارستقراطي يناضل من أجل الإشتراكية ، ويسأل قائلاً: " لماذا أنا إشتراكي "؟ في محاضرة ألقاها في سوق الغرب في 27أيلول عام 1964 ويجيب كما هو في ضميره ، وكما هو في ذاته، يجيب قائلاً:

(لأنني أُحب العدل والإخاء والحرية. لأنني أشعر إن عدلت مع غيري فكأنني عدلت مع نفسي، وإن ظلمت غيري ظلمت نفسي .

لأنني أنزع إلى التوافق مع الجميع والانسجام الشامل، كاللحن الذي لا يتمّ إلاّ إذا تحققّت هذه التسويات والموازنات بين الأنغام المختلفة التي تكوّنه، وكذلك يجب أن يحلّ الانسجام والتوافق بين الناس وبين ما اعترف لهم به القانون والشرعة الطبيعية من حقوق، هذا الذي نسميه عدالة.

أنا اشتراكي، لأنني أعتقد أن العمل بدون رأسمال لا يقوم .. والعمل ذاته المدّخر في القوى الطبيعية وفي زند الفرد الذي هو ضمن هذه القوى – هو رأسمال.. والرأسمال لا تتنفذ إمكانياته ويظل مجرد طاقة إلى أن يتحول إلى عمل..فالعمل لا يمكن أن ينفصل عن الرأسمال،أي رأسمال إطلاقاً.

إن الصراع التاريخي بين الطبقات، الذي استنزف قوى العنصر البشري وإمكانياته، واستنزف وجوده في خلافات ونزعات داخلية مستمرة، يجب أن يزول .

أنا اشتراكي لأنني أؤمن بأنّ الشرّ، والخطيئة الأولى، في النُّظم الشيوعية وفي النُّظم المسمّاة بالرأسمالية الفرديّة هو في الفصل الاعتباطي بين العمل وبين الرأسمال هذا الفصل الذي كرّس أفضلية فئة على فئة في هذا النظام وأفضلية فئة على فئة في ذاك النظام.

أنا اشتراكي لأنني أؤمن بضرورة التأليف والانسجام والتوحيد بين العمل وبين الرأسمال، باعتبارها عناصر لايمكن طبيعياً وعفوياً أن ينفصل بعضها عن بعض.

أنا اشتراكي، لأنني أعتقد أن الاشتراكية روحيّة يجب أن تتحقق في النفوس فوق وقبل تحققها في الأنظمة والمؤسسات. " 76

بلى، فقد شهد له عصره الذي رآه في علوٍّ لا تناله أحلام العصور، فحين قال جنبلاط: أنا أحب العدل والإخاء والحرّية، فقد أحنى العصر هامته، وحين قال: أنا اشتراكي فقد خجل العصر من طروحاته الفارغة من المعنى، وحين قال: بتوحيد العمل والرأسمال، كان يعلم أن فصلهما عن بعضهما يعني إقامة الصراع الذي لا ينتهي إلا بتوحيدهما في إرادة فاعلة واحدة، إذا ما قادهما الوعي إلى مواقع الغاية منهما. وحين قال:أنا اشتراكي، لأنني أعتقد أن الاشتراكية روحيّة يجب أن تتحقق في النفوس فوق وقبل تحققّها في الأنظمة والمؤسسات..أي أن يتحقق الوعي للذات الجوهرية من أجل أن تصبح هي القائدة إرادياً لتحقق نعيم ذاتها على الأرض، حيث تكون إرادتها عقلية جوهرية.

يرى جنبلاط أن " الحق، الحقيقة أو الله أو المطلق أو ما يسمونه كذلك، وفق الأديان والمذاهب والأزمنة والأمكنة، هو الحقيقة الأخيرة للوجود التي ينشدها المؤمن والعابد والصّوفي، والكاتب والشاعر والموسيقي والفنان، والعالِم والملحد والكافر ذاته على السواء. لأن ما من أحد إلا وينشد الحقيقة؛ والحقيقة كالسعادة لا تنفصل عنها، هي مطلب كلّ كائن، هي مطلب الوجود فينا، مطلب الحياة، هي عودة الوجود الظاهر إلى محوره ومصدر انطلاقه، إلى نقطة بيكاره على حد التعبير

الشهير، والاستنارة، فيما نقوله ونستشعره ونعمله ونكتبُه ونتقصّاه ونتصوره ونرجوه ونتأمله، بهذا المحور الأخير، أكنا متنبّهين لذلك أم لم نكن متنبهين ... " ص 79

إن ما يطلبه الواجب هو العلم بذلك، فكل نظرة متأملة في علم الحقيقة، تفتح سبل الحياة وتزيدها اتساعاً و توقاً و علواً، وكل تحقيق في هذا الاتجاه، يفتح باباً من أبواب السعادة والغبطة والفرح لتضع الإنسان على جادة الحب والسيادة حين يعلم أنه يسفر بذاته الكلي، إلى ذاته المطلق، إنما هو سفر من قطب في الدائرة، إلى نقطة بيكار وجوده، إذا ما كان الوعي يضعه في صميم دائرة الإطلاق بعد أن يحرره من أثقال ترابيته الجاهلة لسبل غايته الحقيقية.

لا بل ينشد من عَلم لغة الحقيقة وتاقه نغمها وصارعلامة في نغم الوجود، وأصبح النشد في كونه وكيانه وكينونته ليصبح هو الوجود والوجود هو.

يطلب الحقيقة من يعي، ويرهب الحقيقة من يجهل، إذا ما كانت هي الوعي المحض، وفيها ومنها وإليها حركة الوجود السرمدية، وأن في وعيها سعادة، وفي جهلها شقاء.

يقول جنبلاط:"إن سلامة العنصر البشري–جسداً وحواساً وأغشية وعقلاً وخلقاً وذهنية فاعلة خالقة – أساس لبقاء ونمّو الإنسان وتطوّر الجماعة والمدنية، وأن إحدى وظائف الدولة الأساسية أن تتدبّرما به تحقق[المحافظة على سلامة النسل وازدياد(الأفضل) وحيوية العنصرالبشري وقوّته ونبوغه المتنوع المتناهي ".

ولا يتم ذلك إلا :

" بنظرة جديدة للعناية الصحية. واعتماد التدابير اللازمة" ومنها :

- إزالة الأمراض الوراثية.
- نشر مبادىء الوقاية والمناعة الصحية وتعزيز مناعة الجسد.
- وضع تصاميم للمدن والقرى حيث أصبحت المدن الحديثة مقابر للأحياء.
- الحرص على تطبيق تشريع صارم يقي الصحة العامة شرّ التزوير.
- رفع مستوى الدروس الطبيّة واستثارة البحث العلمي.
- مكافحة الانحلال الخلقي .

- تقوية فكرة الأسرة.
- توضيح حرمة الجسد (والابتعاد عن الإسراف في كل شيء).
- العناية المنظمة بالرياضة الجسدية.
- تحبيب النشء بالرياضة الطبيعية.
- إعادة الرياضة إلى جوّ الطبيعة.
- التشديد على الإفادة فردياً واجتماعياً من نمو الروح الخلقي الرياضي.
- تظهير الناحية الجمالية للرياضة ... " ص 98

صورة هي يحتويها جوهرالمعلم من أجل أن تتجلى صوراً يتوق الوجود إليها ،هو في ذاته رسالة توق واشتياق؛ رسالة تصورت على صفحات ذاته ، وحين تمازجت ذاته وذات الوجود ، صار الوجود في ذاته صوراً لذاته.

هناك في ذاك العلو كان يحيا جنبلاط ، جنبلاط العلم والمعلم، جنبلاط الرسالة التي لم تقرأ بعد.

لكن جنبلاط المثالي الواقعي، أنا لم أره ؛ كوني قرأت جنبلاط التبدل والتغير والإبداع ، جنبلاط الوعي.

غريب أنا ،وقلمي أيضاً غريب، غرابة نشدنا لعالم غريب،ترسمت معالمه في وجودنا ، فأصبح لنا في جنانه وجود.

فالغريب أن يكون نشد بوذا وصداه، ونشد غاندي وسقراط وأخناتون وجنبلاط ومن ترنم على وتر ذلك النشد..هم ذلك العالم الغريب الذي يتألق في ذاتي نعيم جنانه وهداه.

فقد وصل جنبلاط إلى كلمة فريدة ، وقد تصور فيها وتصورت فيه، لكنه لم يقلها.

يقول الكاتب: كان سولوفسكي يقول:" إن الحضارات والشعوب التي تفقد إرتباطها بالأرض لا تلبث أن تذوي وتزول ". ص 104

بديع هذا القول،وبديعة تلك النظرة الخلاقّة للأرض، إذا ما كانت الأرض هي الأم التي تعطي وتهب وتصفح وتسامح وتصبر وتتسع، ليكون موقعها هو موقع

الوقار، في حين يصغر موقع الإنسان إلى موقع المرابي والمستلب ولو كان يعلم أنها تطهره من كل دنس، وتصونه من الجوع، وتكسوه ثوب الصحة، وتحضّه على العطاء وتنهيه عن دس السموم في أحشائها، لأن تلك السموم سوف تقدمها إليه حكماً.

يقول جنبلاط: "ويجب أن لا يغرب عن بالنا أننا أولاد هذه الطبيعة، نحن نتاج التيار المرتفع الأخير في سُلّم تطور الطاقة المادية النباتية الحيوانية.

وهذا الجسم يتكوّن، بمادته وأنسجته وأغشيته وسوائله وأعصابه وأقنيته وشرايينه وخلاياه المتنوعة اللامتناهية، من هذا الغذاء والماء والشمس والهواء... " ص 105

ومن أجل أن نعلم موقعنا في الوجود، وأين نحن من دقة نظامه وشموله وغائيته، فقد وضعت كتاباً من أجل الصحة العامة، يحمل غاية الإنسان على هذه الأرض في التآلف والوحدة والانسجام مع غائية الوجود ودقة نظامه علنا نصبح حركة شوق وهيام كالوجود أبداً، هذا حين نرقى إلى نظام غذائي في الوقت والنوع والقيمة الغذائية ومراحل العمر.

إن الجميع يسألون مع جنبلاط قائلين:

- هل ظلّ هذا الغذاء الذي نقدمه لأنفسنا ولأولادنا نقياً فعلاً ؟
- هل الماء الذي نشربه، وتعبق به المطهرات الكيماوية التي وضعت فيه لقتل كل حياة كهذاالسلسبيل الفضي الشفاف الذي يتقطرمن فم ينبوعه؟
- هل يصح أكل الميت والمحنط والمعلبات منذ أشهر أو سنوات؟
- هل تبصرّنا بأثرالأدوية الزراعية والأسمدة الزراعية والصناعية على نتاجنا الزراعي على مدى طويل.
- وهل هذه المعادن المصطنعة من مواد اللدائن المتنوعة وسواها، هل يجوز استخدامها لغاية العيش قبل اختبار فعلها وأثرها؟
- وهذه الأدوية الصحية التي يعالج بها الإنسان مرضه، هل ندري ما هو فعلها وأثرها وما ينجم عن المعالجة بها على المدى البعيد؟

obeikandi.com

- هـذه العـادات في السـهر والنـوم والانتقـال السـريع، وهذاالعالم مـن الإشـعاع الكهربـائي والموجـات الكهرطاسـيّة المختلفـة الـتي نعـيش في وسـطها، كل ذلك لا نتميّز مدى تأثيره في جسد الإنسان ونفسيته وحياته.
- واسـتخدام تفجـير الـذرة لأغـراض السـلم، خاصـة في محركـات السـفن والطائرات والسيارات فيما بعد.... ألخ
- وفي كبرياء التسـابق والغلبـة وتطلـّب النجـاح وابتغـاء النفـوذ.. دون أن يهتمـوا، بشـكل مباشـر وأساسـي، بخطـر تلـوث ميـاه الأنهـر والبحـار والأرض المجاورة والهواء والغبار من الإشعاعات السامة.
- وهل تبصرّنا في أثر هذا الصخب وهذا الضجيج، على أغشيتنا وأعصابنا وفي صميم خلايا أدمغتنا وأوتار قلوبنا وأحشائنا.
- وأخيراً وليس آخراً..الراحة في حياتنا..فالنشاط ينبعث من الراحة، كما تنبثق الحياة من النوم عند بزوغ فجر اليقظة العادية.
- فقد ارتفعت نسبة المرض والمرضى في الولايات المتحدة– وهـي أكثـر البلـدان تقنيـة فشـملت مائـة وعشـرين مليونـاً بشـكل دائـم مـن أصـل مائـة وسـبعين مليوناً من سكان هذه البلاد سنة 1961".ص 105

إذا ما كان هذا الفكر في سباق مستميت على نهب الشعوب، قبل أن تعي هذه الشعوب حقها في الحياة، فيسّر أمر الحرب في حفظ الغذاء، والماء والدواء إلى تلك الشعوب، وهو الذي أحرز الثمن الذي يرغبه، وهـو الـذي بـاع الـدماء، وابتـاع المصير، وجعل العالم دمية في يده يحركها كيف يشاء ومتى يشاء.

فـالنغم الهنيء علـى شـفة الـوتر الهادىء، يدغـدغ الأعمـاق ويبسـط الـروح، إذا مـا كان الصخب يحرك فقط غرائز الجسد، ويلبي فقط رغبة الفكر.

إن حركة الشغب العنيفة تستهويها مصالح الفكر، إذا ما كـان هـو العنـف في ذاته، لنجد أن ما يصنعه في عالمنا هذا، يحمل في ذاته أسباب فناءه.

إن عصـرنا هـذا قد شـابت عوارضـه مـن جـراء الخـوف والحـزن والألم الـذي يعتصر في مآقيه؛ بلى، لقد شاخ هذا العصر، ولم يعد قابلاً للحياة.

obeikandi.com

ويسأل جنبلاط ، ماذا يعني التطور؟

فيجيب قائلاً: "هو ظهور كل باطن من الأشياء والكائنات وفيها في الزمان والمكان المعد والمحدد لظهوره. وطبعاً لا ينفصل الزمان عن المكان لأنهما قياسان من مقاييس الحدث ذاته. والتطور لا ينطلق من العدم، ومن العدم لا يخرج سوى العدم. فهنالك طاقة دفينة في أعماق كل وجود و وجودنا لا ينفصل عن الوجود الكلي – تتكثف في مجرى الظهور والتحقق وفي تنزّله00 تماماً كما أن الشجرة الكبيرة، هذه السنديانة مثلاً،كانت منطوية، مغلّفة، مُستبطنة، أي متصورة بشكل لطيف، في البذرة التي أنبتتها، كذلك كل ما يبدو من واقع التطور فينا وبواسطتنا، يكمن في أعماق أعماق كياننا الفردي والسلالي والوراثي والحياتي العام. ولا يمكن مثلاً لبذرة السنديانة أن ينبت منها السرو أو التفاح.

وفي هذا السياق من التبصر تبرز حقيقة التطور: فهو ليس شيئاً يأتي من الخارج أو يزيد فيما نحن عليه أو نستزيد به، بل هو ظهور ما حوته الطاقة الحية فينا وما هو مستبطن ومغلف ومطوي في لطافة البذور والتصوّر فينا. فلا تطور ممكن بدون انطواء الصور والمظاهر التي يبديها، في أعماق الذات البشرية في أعماق تيار الحياة الزاخر بهذه الكائنات والحامل لهويتها اللطيفة منذ فجر إنطلاق الكون.

لا تطور ممكن بدون استبطان لمكونات طاقة. فالتطور عملية نشر لانطواء باطن دفين" ص 110 لا تنبت الحبة مضطرة،لا بل هي منتظمة في نظام الوجود،نظام الحركة الدائبة،هي كالوجود أبداً في حركة شوق وهيام،تستنبط ما في ذاتها،هي تجدد ذاتها، وتجدد الحياة، تعطي وتجدد العطاء، وتتجدد بالعطاء،هي ذاتها رسالة عطاء،رسالة حياة.

إن في أعماق كل منّا توق واشتياق، في أعماق كل منّا رسالة و رسول، رسالة قابلة للتصور في قلم رسول غريب البعد والعمق والتصور، رسول يبحث عنّا، بنور الوعي، ونحن نبحث عنه بنور الفكر، فتزيد المسافات بيننا بعداً وافتراقاً.

obeikandi.com

فقد تتصور في حافظة هذه الآلة الكاتبة ملايين العبارات، وفي الكينونة يتصور العالم كله، يتصور في ريشة الوعي لتلك الكينونة، ولو سألنا أحد لماذا؟نقول له: لأن الوعي هو سبيل الإرادة العقلية العالمة في كل شيء، حيث إن العقل" قلم الوجود".

إن ظهور كل باطن هو تجلِّ الجوهر بعد رفع غطاء الفكر، فيتجلى الجوهر في الوعي، وليس في الحس، إذا ما كان الوعي يرقى عن المحسوس.

إن كل ارتقاء عن الحس هو تعدٍ للزمان والمكان، لأنهما يرتبطان بالفكر ارتباطاً كلياً، والحرية تتعدى كل ارتباط.

إن التي في أعماقنا ليست طاقة، إذا ما كانت الطاقة تابعة إلى الحس، فالذي في أعماقنا هو أعماقنا التي تتعدى الحدود، إنما هي إرادة عقلية جوهرية، تحرك ولا تتحرك حيث هي بسط من ثبات مطلق.

وهي ليست دفينة، إنما هي يقظة سرمدية نعقلها بالوعي، هي تكثف ولا تتكثف لأنها بساطة مطلقة.

إن الوعي الحقيقي يكشف لنا حقيقة التطور، والعلم يكشف لنا ظواهر الحركة الدائبة في البحث عن سبل تطور الحركة ذاتها بالعلم والتقنية.

هو الإنسان طاقات وقدرات وإمكانات لم يستطع تفجيرها أبد الدهر من أجل أن يصبح إنساناً مبدعاً، لذا تبقى كامنة في كيانه الظاهر.

لكنه مع تقديمها قد تتجلى في ذلك الكيان مقوماته الإبداعية تلك التي هي هو، تتجلى إرادة حب وخير وعطاء وغبطة وسلام لأن الوعي سوّاها بنور العقل.

فهل يُحاسَب الإنسان على جهله ، أم يُحاسب صانع الجهل ؟ إذا ما كانت الحياة علم ومعرفة ووعي من أجل بناء إنسانية الإنسان في ذاته وفي أرضه وفي وجوده.

يقول جنبلاط : " إنما القدر إذا شئنا التحديد، هو كل باطن من الأشياء معدّ لأن يظهر.هناك في صميم أغشيتنا كتب القدر الذي نمثل دوره على شاشة

الحياة.ونحن أحرار على قدر ما نتمكن من الاستعلاء فوق مخطط هذا القدر".ص 111

هي الحقيقة التي تكشف لنا كل لحظة عن جديد حطه القدر فينا ولنا ولأجلنا، والجميل الجميل أن نعي سرّ الوجود حتى نكون مهداً بديعاً لهذا القدر، وألاَّ نسُاق إليه بعصا جهلنا كارهين لما هو خير لنا. فالواجب أن نعي صميم أغشيتنا من أجل أن نحركها بإرادة عقلنا الجوهر.

يقول جنبلاط: " وهكذا يكون التطور حدثاً طبيعياً له شرائعه في صميم تبلوره واستنباطه وظهوره. فعلينا أن نعد البيئة الطبيعية التي تتلاءم وتتوافق مع هذا الظهور النجيب ، والتي بطبيعتها، تساعد على النمو والبقاء وتجلّي الأفضل .. وإلاّ إذا كنّا سنهمل جانب الطبيعة ونخالف قواعدها وسننها الأصيلة، نكون كمن يمنع ولادة النجيب، أو يجعله مولوداً سفاحاً، ميتاً عند ولادته، أو نكون قد قضينا على أنفسنا بالتوقف والتحجر ثم الانقراض .... أو أن التيار الحي سيجد له طريقاً وأداة أخرى سوانا، من خلال الدفق الزاخر بالإمكانات منذ فجر الوجود".ص 111

إن الإنسان منسوب إلى إنسانيته تلك التي انبثقت في دور من أدوار الحياة المتعاقبة، واتخذت مساراً من خلال الخلق والإبداع لا بد أن يكون سرمدياً، إذا ما كان منسجماً مع نظام الوجود بدقة وشمول.

فالوجود، إنما هو حركة دائبة التطلع والتصور والنظر بشوق وهيام إلى نقطة مركزية في صميم الدائرة تهبها البقاء والوجود والعناية،وتهديها إلى صراط أمرها وتكسبها الوداعة والجمال والبهاء.

والإنسان في ذاته، إنما هو ذرة صافية بصفاء الوجود. ذرة سابحة في مداره السرمدي. هو ذرة من نور، ذرة عاشقة جمال تلك الصيرورة المباركة، إذا ما عقلت ذاتها أنها من صميم الوجود، ومن صميم الحركة، وأنها هي البداية وهي النهاية.. إنما هي سابحة في بحر الشوق فيما بين العلة والغاية.

إن كل انحراف لهذا الإنسان عن مساره الحقيقي، لا بد أن يحرمه من وجوده الحقيقي، ومن سبيله الحقيقي، ومن غايته الحقيقية.

opeikandi.com

لنقل: إن هذا الإنسان الذي يفعل الموبقات؛ ليس هو تلك النفحة الجوهرية المشغولة بالشوق والهيام إلى كمال ذاتها، والفاعلة إرادياً من أجل غايتها الإنسانية.

يقول المعلم: " أوَلم يقل أحد أئمة العرفان في وصف عملية الخلق : " إنّ الحقّ (أي اللطيف) تكثّف فصار خلقاً" ؟

إنما نقول: إن اللطيف أبدع وسوّى الوجود الحقّ وهو هو في كل شياته يحتويه ويحركه ويدّبره ويصونه ويهديه وينيره.

يقول المعلم: " هذه النقطة الأصلية الجوهرية يعود إليها العلم الحديث اليوم في نظرية شهيرة في علم تكوّن المجرّات والأجرام والأفلاك، تتضمّن تصوّر عملية الانبثاق أو الخلق والعودة، في شكل ذرّة أولى صغيرة جداً لا قياس لها تجمّعت فيها طاقات الوجود المعروف وهو أمر ليس بعجيب، لأن بين الذرّات المتناهية في الصغِر وبين أجزائها، والتي يتألف الكون المادي من المسافات الشاسعة التي تفصلها نسبياً بما لا يتصوره عقل، وبهذا تبدو لنا لطافة ما يتكون منها الكون، الظاهر على غير حقيقته لعيوننا ولمسنا وحواسنا الأخرى، وهل من مجال لنزهة العقول وتسبيح القلوب وسعادة الوجدان أروع وأبهى؟ "ص 113

كنّا قد ناقشنا في كتابنا الإنسان والوجود وتحت عنوان " الانفجار الكوني ص 103 السيد "بول ديفز" في كتابه " اللّه والعقل والكون" الذي قال فيه عن الانفجار الكوني، ثم خرج في نهاية بحثه بعبارة واحدة هي (والنتيجة في واقع الأمر أن لا نتيجة).

بديعة هي نظرة الانبثاق أو الخلق والعودة، خاصة إذا ما كانت بقلم المعلم الذي كتب في العلم والمعرفة، روح العلم والمعرفة، لكننا إذا ما عدنا إلى نظرة أخرى قد تكون أغنى وأثرى وهي (إن الوجود كامل شامل لا يعتريه زيادة ولا نقصان).

وكما قال لا فوزييه : " الداخل يساوي الخارج "، وكما قالت الآية الكريمة (لا تبديل لخلق اللّه) .

obeikandl.com

فقد تنتظم في قانون التساوي المطلق.حركة الوجود السرمدية، حيث هي حركة إرادية عقلية غائية.

إن الذي يحدد ذوبان الكثافة هو وعي اللطافة، ذلك الوعي الذي يحرر الكثافة من أجل أن تصبح حركتها إرادية عقلية غائية حيث يصبح محركها الوعي .

فالذرة لا تفنى إذا ما كان يحتويها الجوهر ويثبت في ذاتها نظام البسط والقبض وليس نظام السلب والإيجاب كما تراه عين العلماء.

إن معضلة العلماء هي أنهم فكر، ومعضلة الفكر هي أنه مصالح وأغراض لا ترقى إلى البحث الفعلي عن حقائق الوجود، لا بل أنها قد أقفلت بوابة المعرفة عما هو جوهري حين فصل بيكون عالم الطبيعة عن عالم فيما وراء الطبيعة ، وتفلسف عن عالم الطبيعة رافضاً ما عداه. فصار الوجود حسب فصله هذا جسداً بلا روح.

وقد اخترع السيد ديكارت عقلاً من محتويات الطبيعة، من أجل استخدامه عند الحاجة. في الحين ذهبتْ بنا تأملاتنا علواً ، فراحت تغسلنا من ترابية فكر أسقط كل شيء حتى إنسانية الإنسان لنرى أن إنسانيتنا العظيمة هي هناك في ذاك العلو، هناك حيث الوعي والحرية والسلام، حيث نحن بالحقيقة.

يقول جنبلاط :"ثم بعد انقضاء مجرى الزمان،يتصور العلم أن هذا المدّ الجرمي الهائل ينقلب إلى جزر،وينعكس التمدد إلى تقلص،ويحين طرد الفراغ العامر بالخلق من صدر الكون الكبير، حتى يعود كلّ شيء إلى الذرّة الأساسية الأصلية– ذرّة الذرات– وتعود الطاقة، والحياة من ضمنها تتغلف وتنطوي فيها من جديد . وتكون قد تمت الدورة، أو دورة من دورات هذا الإبداع الذي ليس له بداية ولا نهاية لا في الزمان ولا في المكان، وكلاهما من عناصر الكون ذاته". ص 113

obeikandi.com

كنت قد وضعت على غلاف كتابي " العقل والوجود" نظرتي هذه (حين يعود الغريب ويصبح قريباً تزول الحدود، وترتفع الحدود، ليقف الزمان في محور المكان، يقف في لحظة تأمل فريدة، ثم يأخذ مساره الأبدي من جديد).

وقد ناشدت القارئ الكريم في كتابي الإنسان والوعي " نظرة في عين الحقيقة" ص 301 بقولي " أنا وأنت من الأزل كنّا ولم نزل في رحلتنا المباركة في حدائق الأبدية ".

فالدور إنما هو لحظة تأمل لإرادة الوجود الحق، لحظة تجلٍ للإرادة الكونية، تكشف فيها حقائق الحياة الأزل، وتظهر فيها صراط الأمر لأن العالم يستغيث في نهاية هذا الدور من أولئك الأبالسة الذين يعيثون بهذه الشعوب فساداً وطغياناً، من أجل سيادة الإنسان الذي لم يعرف السيادة قط على مرّ العصور. إن فكرة الانفجار الكوني لا بد أن تكون من أهم أغراض الفكر وهي " إلغاء الجوهر".

فمن خلال الفلسفة والدين وما عرفناه من التاريخ والواقع ؛ تستوي في أعماقنا قناعة واحدة هي " إن الجوهر سرمدي وهو يصون المادة من الفناء".

يقول جنبلاط:"فاختبار الإنسان هو في النهاية واحد: إذا تطلع بعقله إلى الأفلاك الدائرة في سُدُم اللانهاية أو تفحص وتقصى انبثاق أجزاء الذرّات من الفراغ المليْء الأخير ومن الطاقة التي هي وراء هذه الأجزاء، حيث لم يعد هنالك حدود بين المادة والطاقة: فالطاقة تتحوّل إلى مادة أي تتكثف فيها، والمادة تستحيل إلى طاقة أي تتلطف فيها وتدق وتشف وتزول من حقل الإدراك الحسّي للمس والسمع والبصر.

واختبار الإنسان واحد في المقابل إذا توجّه، في صميم لطافة ذاته، إلى هذه الكوّة المنفتحة في أرفع تجليّات العقل وانطوائه على ذاته، وترّفعه إلى مصدره، وبلوغه سِدرة العرفان.

فالمعرفة العلمية الأخيرة ومعرفة العرفان هي واحدة، وهي في ذاتها في النهاية. ولا ازدواجية في ذلك مطلقاً أو فرق كما يتوهم المتوهمون. فالعالم الحديث

openkanal.com

المتقدم في الاستقصاء وطلبه التفسير هو العارف الصوفي، يتطلب توحيد التفسير ووحدة المفهوم المعبّر لطاقة الكون الشاملة بأسرها للمادة وللحياة". ص 114

هي الحقيقة في وعيها تتحقق الوحدة ،حين تُفنى أسباب الفناء وتزول من الذهن، حين يتجلى عقل الوجود الجوهر ، ويتوحد الكون والكينونة بفعل الإرادة الجوهرية التي تحرر الطاقة والمادة من أجل أن تتكيّفان بخواصهما إرادياً ،هنا تتحرر الحركة إذا ما كان الجوهر المحض هو الحرية المحضة ، والحركة منه وإليه بفعل الشوق.

إن العرفان والتوحيد واحد ، إذا ما كان العقل والوعي واحداً ، وجميعهم من صميم الجوهر الواحد.

إن كل إبداع علمي هو كشف عن حقيقة يدركها العرفان حين يعي ذاته،وأن وعي المعرفة قد يرقى بالحياة إلى عالم الإبداع الحقيقي حين يعقل الوعي غايته الحقيقية.

إن الطاقة هي مادة قابلة للفعل حيث هي قوة، والقوة لا بد أن تكون مادية، إذا ما كانت الإرادة فوق القوة وهي جوهرية.

إن العقل في أرفع تجلياته أبدياً ، لأنه هو الإرادة الإلهية، والمعضلة هي في وعيه من خلال التأمل بنوره.

إن طاقة الكون ظاهرة لمن يعلم،ظاهرة من خلال حركتها السرمدية،لأن محركها هو جوهر الوجود الذي يحركها من صميمها حركة شوق وهيام.

يقول المعلم: " وظيفة العقل وهبته الأساسية هي التدقيق والتمييز. وإلا إذا كان علينا أن نقبل بكل شيء كما هو وكما يأتينا". ص 119

ليس هنا المعضلة الحقيقية،إذا ما كانت في وعي العقل، وعند وعيه سوف تزول جميع التناقضات التي وضعها الفكر، وسوف يزول الفكر أيضاَ، لأنه هو المعضلة.

يقول المعلم: " والعصر الذي نعيشه أضحى بحاجة إلى قدرة التمييز وكفاءة التدقيق أكثر من أي عصر آخر، لتعدد مظاهر سحر الأغراض وتنوعها أمام أعين الإنسان البدائي المتوحّش القاطن فينا". ص 120

فمن أجل قدرتنا على التمييز، علينا أن نتعلم من أجل أن نعلم تمييز الأفضل من تلك البِدع التي صنعها لنا الفكر حتى يغوينا، فحين نعلم علم اليقين؛ سوف نطرد الفكر أولاً، لأنه هو المتوحش القائم فينا، حينها تزول عبارة " فرّق تسدّ" تلك العبارة التي كانت ولم تزل من أعتا مفاهيم الفكر.

يتحدث المعلم جنبلاط عن نتائج العلم التطبيقي، في عصر الصناعة القائم فيقول: " هو أبعد ما يكون عن العلم الحقيقي، لأنه يقصد منه الربح لا خير الإنسان أساساً وانطلاقاً وغاية.

ونذكر مما قاله المعلم، انه لا يوجد في الشعب الأميركي الشمالي أكثر من خمسين مليوناً من الأصحاء هذا في سنة 1961 .. ويبلغ عدد المصابين بداء المفاصل وحده في مجموع العالم الغربي مائة مليون من البشر، ويزيد عدد المعتوهين على العشرين مليوناً .

ويضيف المعلم قائلاً: ويجب ألاّ ندهش لذلك. فنحن نتيجة كيميائية ومادية لما نأكل ونشرب وما يسجل في أعضائنا وجوارحنا وأنسجتنا وأعصابنا، من هذا المحيط الجشع الصاخب الذي نعيش فيه. وماذا تطلب الحضارة التجارية؟ أن نتصرف عكس ما تفرضه قواعد الطبيعة ... وينتهي إلى القول : " هذه ليست حضارة". ص 120

إن ما يبتغيه كل حي عاقل؛ هو أن يعقل. وإلاّ كيف نقول عنه أنه حيّ عاقل: إذا كان لا يعرف العقل، ويحتسب أن جميع أصنام الفكر هي عقولاً جاهزة للاستخدام كما هو شائع على ساحة الواقع.

إن الفكر قد وضع لنا مصالحه هو، ونحن نريد غايات من أجل وعيها وتحقيق ذاتنا الحرة في الوعي من أجل أن نصبح ذات حرة ، لها الطبيعة والوجود جنة خلود.

نحن إنسانية عظيمة لأنها ينبوع إرادة تجعل الإنسان أثرى وأغنى ما في الوجود من أجل أن نثبت بالوعي أننا وجود جوهري، ولسنا مادة سائبة تنهشها وحوش الفكر. إذن، نقف مع المعلم لنقول:هذه ليست حضارة، إذا ما كانت غابة يحكمها الوحوش. ...

إنما الإيجابي في رأي جنبلاط هو حسب قوله: " وإن تطوّر الحياة قد تحوّل، بفضل هذا الوعي وهذه الحرية، إلى تطور اجتماعي وأخلاقي ونفسي، هدفه استنباط القيم وإنشاء الأنظمة الاجتماعية والأخلاقية والروحية ولعل هذا هو الفاصل الوضعي بين عالم النبات والحيوان وعالم الإنسان.

ويضيف المعلم قائلاً "على ضوء هذا الإدراك، يتضح لنا خلال عملية التطوّر غرض الحياة منّا وفينا، وأننا أداة مكلفة في الواقع بتحويل التيار الحي، الزاخر بالإمكانيات منذ فجر الحياة، إلى فكر وشعور وإشراق، وقيم حق ومحبة وجمال".122

حين حكم الاقتصاد في الغرب، وضع العالم الغربي كله في خدمة الاقتصاد الذي حقق حضارة اقتصادية عظيمة عملت على خلق تقنية مهيبة جعلت من ذلك المجتمع مجتمعاً غنياً بمعظم جوانب الحياة التي يطورها الاقتصاد. فلن ترى مواطناً يتبرم في شوارع المدن خلال فترات العمل، إلاّ ما ندر.

وإذا نظرت إلى باقي الشعوب التي لم تنتظم في مسيرة الاقتصاد الوطني فقد تجد أن لا قيمة للزمن عندهم، ولا للنظام، ولا قيمة للحضارة والتقنية والالتزام والتمتع، هنا لا بد أم نعلم أن مجتمعاً كهذا صائرٌ إلى الزوال.

قال نابليون:" ويل العالم إذا فاقت الصين". وحين نجد أن هناك مصنعاً في كل بيت صيني، نعلم أن الصين نهضة شاملة بكل أوجه الحياة.

إن جميع الموبقات التي يتعامل بها الشعب العربي، سببها البطالة القاتلة لكل أسباب الحضارة والتقدم، ومن أهم أسبابها هي هروب الدخل ا لقومي وعدم بناء الاقتصاد السليم، وحرمان الشعب من إقامة مؤسسات متنامية مع تنامي الاقتصاد وسلامته.إذا كان الاقتصاد السليم يبني القاعدة الحضارية الراقية ويبني الإنسان الحضاري الذي يبني ذلك الاقتصاد، فحين يكون الإنسان علماً ومعرفة وأخلاق، هكذا يصبح الاقتصاد.

لنقل:يجب أن ينتظم الشعب كله في مؤسسات تنتج جميع لوازم الحياة الآنية، وتبدع ما يتسنى لها من أجل الغد.حيث إن العمل الجاد المثمر يبني الحياة والإنسان

والوجـود والحضـارة والتقنيـة والرقـي والتقـدم. إنمـا يبقـى الاقتصـاد هـو القاعـدة الأساسية لذلك.

يقول جنبلاط: " ولا تستحوذنا ذهنية التطوّر، إلاّ إذا أدركنا باديء ذي بدء غاية الوجود والحياة منّا وفينا، فالمعرفة أساس وشرط لمثل هـذا المطلب ..... والإنسان فينا الذي حوى العقل، واستنبط شرائع المادة والكون ولا يزال، هو أعظم من هذا العقل الصغير.

ويتابع المعلم قائلاً : والغاية الأخيرة لهذا التطور هي الوعي والحرية، وهما في الواقع كلمتان لمفهوم واحد،فلولا الوعي لما كانت الحرية، وعلى قدر ما يتكامل فينا الوعي، نشعر بالحرية ... الحرية الجوهرية

وهذا الوعي ليس هو الوعي في مفهومه الساذج... بل هو التنبّه العارف واليقظة، كمن أضاء نوراً في نفسه يستضيء به على الدوام" ص 124

لقد أتينا على هذه النظرة الفريدة مرات عدة، وغايتنا أن نتعدى الهدف المادي إلى الغاية الجوهرية التي لا بد من تحقيقها إذا ما كانت هي غاية الحياة والوجود وغايتنا، ولا يمكن تحقيقها إلا بالوعي الجوهر الذي يرقى إلى سبيلها الجوهري.

ولا أظن أن عقل ديكارت المادي هو الذي قد استحوذ نظرة المعلم، إذا ما كان العقل هو إرادة الوجود وعظمته ومعنى وجود الحياة والإنسان.

والوعي الذي نحن نتوق إليه، إنما هو وعي المعرفة،هو الانعتاق من جميع القيود، هو الذي يتعدى المادة إلى الجوهر،ويتعدى الفكر إلى العقل الواحد - إرادة الله العلية.

والنفس ، إنما هي الغاية، إذا ما كانت نور الوجود الحق، والغاية وعيها وعياً جوهرياً. فالواجب أن نتجه إليها بنورها الجوهري، وليس بنور الفكر المادي كما هو الواقع .هي جوهرة مكنونة من روح الله واجدة هذا الجسد الذي ظلّ عنها وسار وراء أغراض الفكر ومصالحه.

منذ البداية وهذا الإنسان يتبع، وإذا ما كان الإنسان جوهراً في ذاته، والجوهر لا يتبع ؛ إذن ، هو يتناقض مع ذاته الجوهرية المجردة من كل تبعية.

فحين قال لنا الراعي في ألمانيا الديمقراطية:"نحن صنعنا القانون ونحن نصونه" كان علينا أن نعلم أن الراعي كان شريكاً في القرار وليس تابعاً.

وإذا ما كان كل فرد يعي قيمة وجوده ومعنى هذا الوجود وواجبه في مؤسسة يعمل بها ؛ تصبح المؤسسة هي هو ، وهو هي تتفانى من أجله، ويتفانى من أجلها. متعلمون نحن، إنما تحركنا مفاهيم جاهلة، فالشهادة في مجتمعنا غاية من أجل استحقاق الوظيفة، ثم نعود إلى أمية المفاهيم. هنا نكون قد تعلمنا في مدرسة السلب وليس في مدرسة العطاء الجاد المثمر، تعلمنا كيف نأخذ، ولم نتعلم كيف نعطي.

نحن تعلمنا في مدرسة الفكر، تعلمنا مصالح الفكر وأغراضه، ولم نتعلم درساً واحداً في مدارس الوعي التي تغسلنا من ذاتيتنا ، وتجبلنا مع طبيعة الحياة الحقيقية – مع ماهيتنا الحقيقية وغايتنا الحقيقية وحريتنا الحقيقية وسعادتنا الحقيقية ، ومن نحن حقاً وفعلاً، وكيف يجب أن نكون.

يقول جنبلاط: " وأخيراً فإن روحية التحرر والتمييز السليم تعتمد العلم الحقيقي ومستنتجاته، لا العلم السطحي الظاهر الذي تسيطر على تطبيقاته، في حقل الإنتاج العلمي روح الربح والتجارة، واستكشافات العلم الحقيقية ونظرياته توصي، بشكل مستمر وملحّ، بالعودة بالإنسان إلى جوّه الطبيعي الذي يتلاءم مع أغشيته وأعصابه وحاجاته الصحيحة لا المصطنعة". ص 129

يجب وضع المناهج الدراسية التي تحرر الإنسان من ربقة المادة والمصلحة، وتضعه في موقع القائد الحكيم لحركة الحياة في هذا الوجود، بعد أن تجعله إرادة وجود وثبات وبناء وإطلاق.

يجب أن تتغير المفاهيم جميعها، إذا ما كانت تابعة إلى تحكم مصالح دنية، من أجل إقامة مفاهيم سيادية لا تخضع حين تكون نابعة من إرادة الشعوب فعلاً وليست دخيلة عليها.

إن تحرير المادة من ربقة الفكر، يجعلها سيدة حرة تتحرك إرادياً، حيث يتحرر الإنسان أيضاً من عبودية المادة المضطرة لذلك جراء هيمنة الفكر.

obeikandl.com

هنا يصبح الإنسان والمادة كلاً متناغماً مع نغم الوجود الحر، هنا يصبح الكل واحداً ينشد ذاته الكلية هناك حيث كمال صفاته في حدائق الغاية الأبدية.

تلقائياً إذا ما تجرد الإنسان يصل، حيث يصبح هو المكنون والمكنون هو فلا يحتاج، لأن كل ما يريده معه، إذن ، هنا تتجلى السيادة الحقيقية.

وقد أتى المعلم على كل شيء ، خاصة " بتقوية فكرة الأسرة بتشجيع وتمكين الزواج الباكر واحترام قدسيته و وحدته ورعاية الأمومة والطفولة.

وقال أيضاً : " بواسطة شرط الزواج بوثيقة صحية ومكافحة منظمة للمرض والانحلال الخلقي"

وقال أيضاً : " بتوضيح حرمة الجسد وترفيع القوى الحية وتحويلها إلى قوى نفسية واجتماعية خلاقة وبناءة " .

بعناية منظمة بالرياضة الجسدية من نتيجتها مثلاً :

" تعويد الولد ضروب الاعتناء بالجسد ".

" جعل علم الصحة والتربية البدنية مادتي درس وامتحان".

" بتحبيب النشء بالرياضة الطبيعية بما يؤمن له تنمية منسجمة للأعضاء

" بإعادة الرياضة إلى جو الطبيعة .... ".

"بالتشديد على العلاقة القائمة بين الرياضة والبهجة ".

" بإيضاح التفاعل بين الجسد والقوى النفسية ".

" بالتشديد على الإفادة فردياً واجتماعياً من نمو الروح الخلقي الرياضي".

" بتظهير الناحية الجمالية من الرياضة".

" بجعل مواسم الرياضة موضوع اعتزاز للجماعة".

نرى أن الأسرة " تلك الخلية التي تصنع الجسد الإنساني السليم " نرى أنها في مرحلة مخيفة من الضياع والتفكك، وعواقب ذلك ضياع المجتمع.

لنقول: إن وحدة الأسرة هو نتاج وعيها لوحدة المجتمع، ووحدة الإنسانية، إذا ما كانت الإنسانية " أسرة " من العلة إلى الغاية ،وإذا ما تحققت وحدة هذه الأسرة؛ فقد تتحقق غاية الإنسان في إنسانية عظيمة وحرة ونبيلة.

يتحدث جنبلاط عن مجرى التطور في اتجاهات عدة

الاتجاه الأول: الوعي والحرية، ويرى الزيادة المضطردة في مقدار وعي الكائن الحي ،وحدّة هذا الوعي وإلى الزيادة في حريته وطاقته في التصرف خلال قيود المادة وسننها – كلما ارتقى في سلّم الأجناس والفصائل والفروع التي تتطور باتجاه الدوحة الحيوانية التي يّتوجها ويختمها الإنسان ...

وإن تطور الحياة قد تحول بفضل هذا الوعي وهذه الحرية إلى تطور إجتماعي وأخلاقي ونفسي هدفه استنباط القيم وإنشاء الأنظمة الاجتماعية والأخلاقية والروحية – ولعل هذا هو الفاصل الوضعي بين عالم النبات والحيوان وبين العالم البشري.

ويضيف قائلاً: على ضوء هذا الإدراك يتضح لنا خلال عملية التطور غرض الحياة منا وفينا، وأننا أداة مكلفة في الواقع بتحويل هذا التيار الحيّ الزاخر بالإمكانيات منذ فجر الحياة.

- الاتجاه الثاني : التجمع البشري

يظهر لنا من مقابلة الأشكال الحية ومن الدرس المتعمق للمراحل والأطوار التي مرت بها الجماعات والفصائل الحيوانية والنباتية في أدوار تحولاتها أن العناصر الحيوانية والنباتية تظهر ثم تنمو وتكبر وتشيخ وتموت.

ويبدو من الدرس والمقابلة أن العنصر البشري في تطوره الطبيعي خاضع كبقية العناصر الحيوانية لهذا التطور المحتوم .. ويبدو أنها وصلت إلى درجة من نموها السلالي يمكن أن نسميها بمرحلة الجمعية أو التجمع البشري.....

كثافة السكان المتزايدة في عالم اليوم والناجمة عن نشر وتطبيق مبادئ العلوم الصحية والوقاية الصحية وتحسن مستوى العيش، أدى إلى تطور المجتمع

obeikandi.com

والبشرية، كثافة المجتمع الاقتصادية المتحققة بتعقد وتشابك الأوضاع الاقتصادية المتزايدة.

الكثافة الاجتماعية والمعنوية: فالعلاقات والروابط الاجتماعية أضحت من الكثرة ومن الإحكام ومن ومن القوة بحيث يشكل مجتمع بشري وحدة عضوية، أي كلاً عضوياً غنيّ الحيوية موحد النزعات كثيف الحياة.

- الاتجاه الثالث للتطور : مظهر وحدة الإنسانية وتكوّرها والتحسس
- أكثر فأكثر بوحدة هذا السيار الذي نعيش عليه" ص 160

نرى أنه وجود حق، لموجود حق، ماهيته كلية تجلت مع الإبداع الأول بإرادة علية، تجلت في حبة "كن" فكان الوجود هو، وكان الموجود هو، هو الجوهر المحض، هو الصورة والمصور والمتصور في كل شيء وفي كل أين، وفي عين الوعي نرى عظمة إبداعه، نرى عظمة الحرية، وعظمة الوعي حيث هو الحرية المحضة والوعي المحض.

ونحن من الإبداع الأول ننشده ، ننشده بعلمه وبنوره وبجوهره على ترانيم آيات الأزل، لكننا عملنا بعد خلق وخلق فرغبنا، فتكثفت رغباتنا لتصبح حجاباً بيننا وبين حقيقة نشدنا، يبن مكنوننا وظاهرنا، فاختلف الظاهر وتاه وراء الاختلاف، وزاد البعد حين أصبحنا نختلف على جوهر علتنا، وعلى سبيل غايتنا، وراحت رغباتنا عبر العصور تجسّد وجودنا التائه والحائر فيما بين العلة والغاية .

فالحرية الحقيقية إنما هي الانعتاق من كل ما تراكم على هذه الذات من أثقال وعيوب خلال عصور التطور. فكلما طالعنا درساً من حكمة الوجود تكشف حجاب من أحجبة الظلمة التي نسج خيوطها ذلك الاختلاف، وبعد آخر حجاب يتكشف؛ تتجلى الحقيقة لنا على أكف الوجود، وتظهر الغاية التي كنا ننشدها، وتتبدى سبلها جلية إلى أعتاب قدسه المبارك حولها.

إن الإنسان يحقق حركة الوجود حين يعلم أنه منه وإليه، ويعي أنه رسالة وجود، حين يعي أن الوجود رسالة حياة لمن يعي رسالة الحياة، رسالة لا بداية لها ولا نهاية ،

إذا ما كانت رسالة حية - متجددة ومتطورة ومرتقية ومتألقة وسامية، من أجل أن تحقق غاية الوجود.

إذن، نستطيع القول : إن الغاية واحدة كالحقيقة أبداً،والإنسانية واحدة، كالأسرة أبداً، إذا ما عرفت كيف تحقق وجودها في وجود هو مهدها الحنون.

إذن لماذا نختلف؟ لنجيب في عبارة واحدة هي "لأننا فكر مبني على الاختلاف" وهذا الاختلاف يضعنا خارج دائرة الوجود الحقيقية، إذا كان الفكر لا يحمل رسالة الوجود الحقيقية.

بلى، لقد تكثف وجودنا في تجمعات كبيرة، وكتبنا فوق قمم الجبال والبيوت والمآذن والكنائس ،كتبنا غاية نشدنا بالقلم العريض، وكنا وما زلنا نؤم تلك الأماكن ونصليّ ونكبّر، لكننا لم نقرأ يوماً ما كتبنا. لأن نشدنا قد راح إلى أودية الظلال السحيقة.

فقد تطورت أجسادنا حتى أصبحت غريبة عنّا،وحملت أفكاراً لا تنتمي إلينا، وتغذت على طعام لم يعد يشبعنا، ونهلت من شراب لم يعد يروينا. فذاب نحن بالحقيقة، وتضخم نحن بالغريب الغريب عنا من أشكال التطور.

وفي هذه اللحظة المباركة من التطور حيث أصبحت الأسلحة الفتاكة جديرة بفناء العالم خلال ساعات معدودة، حيث أصبح الخوف في غاية التطور.

إذن، لا بد من البحث بعمق وروية عن غاية المعلم في بحثه هذا، لأنه بالذات والروح هو معلم .

الحياة العقلية

openkanal.com

يقول جنبلاط تحت هذا العنوان:"إعلان أهمية المعرفة وضمان احترام حقوقها وتعزيز الحياة العقلية وإيجاد وضع يضمن أقصى تفتحها فيما يهم الفرد والجماعة والإنسانية.

1 – اعتبار الفكر قيمة بحد ذاته وموضوعاً لكرامة الإنسان ومرتكزاً لكل نشاط بشري، وقدر المعرفة مقياساً لكل عمل إنساني ومصدراً للحرية والغبطة :

- إطلاق حرية الفكر في البحث عن الحقيقة واكتناهها .
- اعتبار المعرفة شفاعية بطبيعتها فلا حاجز في سبيل نشر الفكر.
- إعلان المعرفة حقاً للفرد وواجباً عليه" ص 199

إن الفارق الكبير بين ما نوّد البحث عنه، وبين فكر جنبلاط في بناء الدولة ، قديكون السبب في هذا البعد الشاسع فيما نوّد التمتع في بسطه على أفانين السطور، إذا كنا كلمة توق واشتياق تقطر حباً على ثغور تلك الأفانين من أجل أن تتفتح ورود حدائق الحياة الفرح لأننا نذوب فيها وجداً واشتياقاً.

فقد نهب منّا الفكر جمال الطبيعة الذي كان يتناغم مع الجمال في أقداسنا ، نهب منّا أقداسنا المتناغمة أبداً مع معزوفة الوجود ، لا بل نهب منّا معنى الوجود ، لنبقى وجوداً بلا معنى.

إن تعزيز الحياة العقلية في عالم الفكر هذا هو خروج كلي من دائرة الفكر الذاتية ، إذا ما كانت المعرفة الحقيقية ترقى عن أغراض الفكر.

إن الفكر قيمة ، لكنه قيمة مادية لا يمكنها الارتقاء إلى المعنى حيث لا تحتوي جوهراً ، ولم يكن يوماً عبر تاريخه المديد إلا حرباً على الحياة، وهذا العصر شاهد عليه. بعد أن نهب قوت الشعوب وكدسها في خزائنه ذهباً ونقود ، كما أنه العبودية في ذاتها بعد أن أثقل الإنسانية بتلك القيود.

والغبطة إنما هي للجوهر فقط ، ذاك الجوهر الذي ألغاه فكر بيكون وغيره . فلا بد من القول: إن الفكر كان ولم يزل مبعث الجهل والشر والخوف والغضب

obeikandl.com

الذي دعا نيرون لحرق روما ، والذي قتل الإنسانية في الحربين الأولى والثانية ....إلخ.

إن إطلاق الحرية مفادها فناء الفكر ، إذا ما كانت الحرية الانعتاق من تلك القيود حيث إن الفكر هو مؤسس شريعة الغاب على الأرض؛ وتلك الشريعة هي أعتى أنواع العبودية.

في البحث عن الحقيقة واكتناهها ، نرى أن الوعي، وعي المعرفة يرقى بنا إلى مواقع البحث عن الحقيقة، حين نتجرد عن كل فكرة وفكر ونصبح في عالم العقل، العالم المعنوي.

" المعرفة حين تكون غرضية تصبح فكرة. وإذ ذاك فإن " الأنا" تبقى كالشاهد على الفكر". أتمننندا ص 54

ويقول أتمننندا :" أنا لست فكراً وليس لي فكر ... أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال". ص 49.

(إن سبب جميع القيود هي نسبة الوجود إلى أشياء ترتفع في الفكر...الأغراض ليس لها علاقة أحدها بالآخر. إن علاقتها تقوم على الدوام مع الفكر وحده. إن الغرض لا يمكنه أن يوجد أبداً لو برهة، إلا إذا عرفه الفكر وعندما يتبدل الفكر ويتغير فالغرض أيضاً يتبدل ويتغير...الغرض والفكر لا ينفصلان أحدهما عن الآخر.فهما إذاً واحد. إذاً، فالاعتقاد ذاته بأن الشيء هو محض خداع يرتفع في الفكر). أتمننندا ص 38

هو أتما دارشان ، بقلم أتمننندا ومن ترجمه إلى العربية هو المعلم كمال جنبلاط وقد تكفي شهادته على هذه النظرة التي تقول " إن الوعي الذي يتوجه خارجاً إلى الأغراض،هو الفكر .. وإن الوعي الذي يتوجه عائداً إلى الذات ، هو محض صفاء" ص 21 أتما دارشان يحيا في عقل جنبلاط وفي قلبه وروحه.

هذه بعض النفحات الرقيقة تشهد على الفكر بأنه هو والغرض واحد، وإذا ما زال الغرض . زال الفكر .... فما هي علاقته في البحث عن الجوهر إذاً ؟

obeikandi.com

نحن منذ تسعينات القرن الماضي كنا قد وضعنا العقل في موقعه الحقيقي، كما وضعنا الفكر في موقعه الحقيقي ، ذلك في كتابنا " ضياء العقل " ص 104

إن الفكر الذي يقتل في الكنيسة وفي المسجد وفي المشفى والمدرسة والطريق والبيت وبدون ذنب وبلا محاكمة عادلة ، وينهب العالم ويستعبده ويستعمره ويرمي الغذاء في البحار والناس جياع ... و يهدم الكنائس والمساجد والمشافي والمدارس. هذا الفكر قد تعدى جميع المحرمات، هذا الفكر هو " وحش يفترس العالم كل يوم ".

فالنور هو النور، نور الجوهر، نور العقل، نور الحقيقة، نور الله. والظلمة هي وليدة الفكر الذي حكم على الإنسانية بالفقر والجوع والخطيئة والخوف والحرب.

إن كل جائع شاهد على الفكر، وكل مظلوم، وكل معتوه، وكل مجرم، وكل سارق، وكل زانٍ، وكل مشرّد ، وكل خائف، وكل جاهل، وكل منتحر، وكل مريض، وكل بدين، وكل محروم ...إن هؤلاء جميعهم هم من عالم الفكر، وفي ظل عبوديته القاهرة، وهو الذي أوصلهم لما هم فيه وليس غيره إذا ما كان هو صاحب السيف والقانون.

إن الفكر هو الأشد عبودية، إذا ما كان محكوماً بالمادة سيدته، ويتحرك عنوة من أجلها، وتتحرك عنوة من أجله، إذاً هما خليلان لا يفترق أحدهما عن الآخر، فإذا زال أحدهما حكماً يزول الآخر عن كيانه الحالي فالمادة حين تتعتق من قيد الفكر، فقد تصبح سيدة تتكيف بخواصها المادي إرادياً حسب إرادة جوهرية، في حين يفنى الفكر كلياً لعدم احتوائه على الجوهر.

قال نيتشه:"أنا أشتهي كذا". فقلت له: لا يا معلم ،أنت تشتاق ولا تشتهي لآن الشهوة دنية ، إنما أنت الشوق في ذاته، لأنك منه وإليه. إذا ما كان مصدره الشوق المحض.

والمعلم جنبلاط ، ليس فكراً، وهو الذي تعدى الفكر إلى الوعي، وتعدى الوعي إلى العقل حتى صار من صميم جوهره ، ومن صميم جوهر الوجود،لكنه تكلم في لغة هيجل وغيره من الذين سموا إلى مواقع لا يرون منها فكراً ولا أصحاب الفكر.

obeikandi.com

فكم سمعت من علماء الدين قول كهذا " أنا أفكر بعقلي ". مع أن العقل لا يرى الفكر حيث هو جوهر لا مادة فيه، والفكر مادة لا جوهراً فيها . والأهم من هذا كله أن العقل لا يفكر لأنه كمال لصفات الخير كلها ، والكمال لا يحتاج حتى يفكر. إن السيد المسيح لم يفكر أبداً لأنه كان أبداً مع الله ، والله هو الكفاية، بينما يبقى التفكير والبحث والتقصي من خصوصيات الفكر من أجل زيادة مكتسباته، فهل من مليونير في هذا العالم لا يفكر ليلاً ونهاراً عله يزيد ثروته ولو فلساً واحداً، أليس الجشع بكل حجمه عند أولئك الأغنياء؟ أليس هم الذين حكموا العالم وقادوه إلى حروب كان الفقراء وقودها؟ أليس هم القانون والسلطة والسيف المرفوع أبداً فوق هامات الشعوب تحت نظريات هيجل وغيره في تأليه الفكر، حتى غدت الشعوب تأله قاتليها بسيف ذلك الفكر.

إن الجميل في ما قدمه جنبلاط في هذا المجال هو أنه قد اتخذ من جمال الواقع صورة من أجل أن يجعل منها أبدع صورة تتألق في لبنان ويتألق لبنان بها، ولا بد أن تكون بقلم الفكر حيث هي من واقع الفكر.

إنني بعد أن طالعت جنبلاط في العديد من مؤلفاته، وجدت أن يكون هو صورة كتابي هذا وكل صفحاته التي سوف تكون به غنية ، لأنني أتوق لأن تكون ثروة المعلم هي كتابي هذا، من أجل أن يكون كتابي هذا هو الأغنى، وسوف تتألق الصورة حين أكون مع جنبلاط المعلم وليس جنبلاط الدولة، وقد مرّ بذلك الاختيار سماحة الشيخ الجليل " جمال الدين عبد الله التنوخي الذي حمل رسالة التوحيد إلى دمشق وكان بها ومنها محل إجلال وتقدير واحترام لدى الدمشقيين جميعهم راجع بحثنا " من وحي الحقيقة" في كتابنا " ما بين الفلسفة والعقل" ص 107

الجزء الخامس من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

openkanar.com